بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثالث

مدخل إلى
الجغرافيا البشرية

الوحدة

9

العمران

- أسباب إقامة المستوطنات.
- المستوطنات الريفية والحضرية.
- تعريف المناطق العمرانية الحضرية.
- كيف تتوزع المستوطنات الحضرية؟

قرية ذي عين في منطقة الباحة بتهامة بالقرب من المخواة على الطريق بين المخواة والباحة.

أسباب إقامة المستوطنات

تدرس جغرافية العمران خصائص أماكن السكن في الريف والمدن، كما تدرس كل جوانب المظهر الحضاري العام ووصفه وصفاً منظماً مع التفسير والتعليل.

- وهناك عدة أسباب لنشوء المستوطنات منها أسباب دينية وحضارية وعسكرية وسياسية واقتصادية، ويمكن دراسة كل منها بتفصيل أكبر.

١ ـ أسباب دينية

- ربما خدمت أولى المستوطنات الدائمة أغراضاً دينية لا سيما باعتبارها أماكن لدفن الموتى فليس هناك مكان أكثر دواماً من القبر. وقبائل الرحل قد تكون قد مارست طقوساً لتكريم الموتى. وكانت توجد في معظم المدن في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام معابد وثنية.
- وتظل المستوطنات تؤدي دوراً مهماً باعتبارها مراكز دينية سواء للديانات السماوية أم الديانات البشرية. ولم يحل العصر الذي بدأ فيه التاريخ المسجل حتى كانت الكنيسة أو المعبد إحدى سماته البارزة وظلَّ المبنى الديني هو أعلى مبنى في المجتمع حتى ابتكرت ناطحات السحاب في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. ويتضح هذا الدور أيضاً في المدن الإسلامية التي ترتفع منارات مساجدها شامخة لا يدانيها غيرها.

٢ ـ أسباب حضارية

- ربما قصد الأوائل بالمستوطنة أن تكون مأوى للنساء والأطفال ليتمكن الرجال من التجوال سعياً وراء الغذاء بينما تعمل النساء بالحرف المنزلية كعمل الأواني والسلال والملابس وغير ذلك من السلع المنزلية فيستخدمن مواد يجمعها الرجال بينما كان الأطفال يشاهدون ويتعلمون.
- ويمكننا اليوم أن نلاحظ السمة الحضارية للمستوطنات فهي تضم المدارس والمكتبات والمتاحف والمحفوظات وهي المستودع الدائم لنقل المعرفة من جيل للجيل الذي يليه. ولذلك اختيرت مواقع المستوطنات في أماكن يسهل الدفاع عنها فهي إما في أراض عالية أو محاطة بالمياه أو غير ذلك.

٣ـ أسباب سياسية وعسكرية

- كان معلمو الدين والمدرسون والنساء والأطفال في القبيلة عرضة لهجمات القبائل الأخرى ولأجل حمايتهم رابط الجنود في المستوطنة، وإلى جانب العسكريين صارت المستوطنة قاعدة لزعماء القبيلة السياسيين الذين كانوا في حاجة إلى موقع استراتيجي يحمون منه حمى القبيلة.

- ولأن الزعماء العسكريين والدينيين كانوا يعيشون هناك، فقد كان لابد من تأمين المستوطنة عن طريق إقامة سور يحيط بها على درجة من القوة. وثبت أن تلك الأسوار كانت دفاعاً بالغ المنعة لآلاف السنين على الرغم من أن الأسوار قد فقدت أهميتها العسكرية في القرن السادس عشر الميلادي عندما اخترع البارود وأمكن إطلاق قذائف المدفعية على الأسوار أو فوقها بالقوة التي تكفي لتدميرها.

٤ ـ أسباب اقتصادية

- كان الزعماء الدينيون والعسكريون والسياسيون وأسرهم في حاجة إلى الغذاء الذي كانت توفره القبيلة عن طريق الصيد أو جمع الثمار. وحين تجمع القبيلة فائضاً من الغذاء لسكان المستوطنة يزيد عن حاجتهم صار للمدينة دور اقتصادي باعتبارها مخزناً يخزن به على الدوام قدر إضافي من الغذاء.
- وإلى جانب الغذاء احتاج الناس إلى موارد أخرى لصناعة أشياء متنوعة. ولم يكن بمقدور كل قبيلة الحصول على الموارد نفسها لأن الغطاء النباتي والحيوانات اتسم بالتفاوت ولذلك صارت المستوطنة مركزاً تجارياً.
- ولذلك كانت طرق التجارة من أهم العوامل التي ساعدت على نشأة وازدهار العديد من مدن شبه الجزيرة العربية.

المستوطنات الريفية والحضرية

على الرغم من أن دواعي البدء في إقامة المستوطنات يحيط بها الغموض فإن تطورها يمكن ملاحظته، فقد تطورت المستوطنات إلى نمطين ريفي **rural** وحضري **urban** يفرق بينهما النمط السائد من النشاط الاقتصادي الذي يعمل به المقيمون بها.

النمو الحضري السريع:

- على الرغم من أن المستوطنات الدائمة قد وجدت منذ آلاف السنين فالنمو الحضري السريع شديد الحداثة، فلم يتجاوز السكان بضعة آلاف إلا في عدد قليل من المستوطنات ولم يحدث ذلك إلا في الأزمنة الحديثة. وكانت روما أضخم مستوطنة في العالم القديم قد بلغ سكانها ٢٥٠,٠٠٠ نسمة تقريباً.

النمو الحضري Urban Growth

نمو الحضري : فيشير إلى زيادة عدد سكان المدن ذات الأحجام المختلفة .

وينبغي أن **نفرق بين العمليتين** الرئيسيتين للنمو الحضري و هي ***نمو المدينة والتحضر*** ، فنمو المدينة هو عملية مكانية وديمغرافية وتدل على تزايد أهمية المدن كمناطق تركز سكاني في مجتمع معين . ويحدث ذلك عندما يتغير توزيع السكان من سكنى النجوع والعزب والقرى إلى سكنى المدن .

أما التحضر Urbanization من ناحية أخرى فهو عملية اجتماعية تدل على **التغير** في العلاقات السلوكية والاجتماعية **للمجتمع الذي يعيش داخل المدينة** ، وهذه العملية تشير بالضرورة إلى التغيرات المعقدة والمتشابكة لنمط الحياة والتي تترتب على سكنى المدن .

- وهذه النسبة المئوية تدل على البنية الاقتصادية المتغيرة للمجتمع، فكلما زادت نسبة سكان المناطق المدنية انخفضت النسبة المئوية للأعمال المتاحة في المزارع وزادت النسبة المئوية للوظائف في المصانع والمكاتب المركزة في المناطق المدنية.

التوزيع العالمي للمستوطنات الحضرية

نستطيع أن نميز بين نمطين مهمين في التوزيع الدولي للمستوطنات الحضرية:

الأول: أنه يوجد بالدول المتقدمة نسبة مئوية أكبر من غيرها من السكان الذين يعيشون في مستوطنات حضرية.

الثاني: أنه يوجد بالدول النامية عدد متزايد من المستوطنات الحضرية الضخمة.

وتشير الإحصاءات العالمية إلى أن نحو ٤٠% من سكان العالم يعيشون في المناطق المدنية، ولكن ثلاثة أرباع السكان في الدول المتقدمة مدنيون نظير ربع واحد في الدول النامية. علماً بأنه يعرقل عملية المقارنات الدولية هذه إلى حد ما الافتقار إلى الاتفاق بين الدول حول تحديد المناطق الحضرية والريفية.

وفي المملكة العربية السعودية أصبحت عملية التحضر سريعة جداً بعد البدء بالخطط الخمسية منذ عام ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) فقد تزايدت نسبة الحضر من ١٦% فقط من مجموع السكان عام ١٣٧٠م إلى ٤٩% في عام ١٣٩٤م (١٩٧٤م)، ثم إلى ٦٦% عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م). وقد استمرت في التزايد حتى وصلت عام ٢٠٠٨م إلى ما يزيد على ٨٢%. وهي نسبة عالية تفوق المعدلات العالمية.

المناطق الحضرية الكبرى

- بينما توجد النسبة المئوية الأعلى للسكان المدنيين في الدول المتقدمة، يوجد بالدول النامية عدد متزايد من المستوطنات الحضرية الضخمة. ولا يمكن المقارنة بين مدن العالم حسب التعداد السكاني لأن تعريف المناطق المدنية يختلف من دولة لأخرى.
- وفي السبعينات احتلت مدن نيويورك ولندن وطوكيو الرتب الأولى بين المناطق العمرانية المدنية في العالم من حيث عدد السكان وذلك حسب التعريف الذي استخدمته مناطق عمرانية معينة. وبحلول عام ١٩٩٠م برزت مدينة المكسيك لتحل محل نيويورك في احتلال القمة. ولكن مدينة طوكيو سرعان ما سبقت مدن العالم قاطبة واحتلت القمة بدون منازع عام ٢٠٠٨م، تلتها مدينة المكسيك فنيويورك

- وأصبحت بعض المدن مدناً ميتروبوليتانية ضخمة. ويعكس هذا نزعة البشر للعيش في المناطق الحضرية إذ يعيش أكثر من ٤٠% من سكان العالم في مستوطنات حضرية عام ٢٠٠٣م نظير ٣% فحسب في عام ١٨٠٠م.

تعريف المناطق العمرانية الحضرية

لتحديد المستوطنات الحضرية يستخدم الجغرافيون عدداً من الأساليب منها ما هو إحصائي statistical أو فعلي physical أو بيئي environmental أو اجتماعي social ويقوم الخيار المناسب على التوزيع الجغرافي المقصود:

أولاً: التحديد الإحصائي:

يستند التحديد الإحصائي على مدلولي الحجم والكثافة كمحددين صارمين يفرق بهما بين المدينة والريف، ومما أعاق نجاح هذا المدلول رغم سهولته في التطبيق اتساع المدى الرقمي بين الدول إذ لا يوجد اتفاق عالمي عليه؛ ففي حين يصل إلى ٢٥٠ نسمة كحد أدنى كما هو عليه الحال في الدانمارك فإنه يتجاوز ٣٠,٠٠٠ نسمة كما في اليابان.

ثانياً: التحديد الفعلي

- درج الناس على اعتبار الأسوار المشيدة حول المدينة حدوداً لها عن الريف، وقد ضعف تأثير ذلك التعريف بعد إزالة الأسوار والنمو السريع للمدن. ولم يبق سوى ثلاث طرق تحدد بها منطقة المدينة وهي: الحدود الإدارية legal boundaries، وحدود المنطقة المعمورة built-up area، والحدود الوظيفية functional area.

١ ـ الحدود الإدارية:

لجميع الدول تقريباً نظام حكومي محلي ينص على الاعتراف بالمدن بحدود إدارية محددة.

٢ ـ حدود المنطقة المعمورة:

إن تقسيم المنطقة الحضرية في بعض البلدان إلى مدينة مركزية وضواحي مستقلة تحيط بتلك المدينة قد دعا إلى الحاجة إلى تعريفات مدنية لا إلى حدود إدارية. ولذلك يستخدم تعريف المناطق المدنية urbanized area ليشير إلى المدينة المركزية وضواحيها من المباني المتاخمة لها.

٣ ـ الحدود الوظيفية:

تمتد منطقة نفوذ المدينة لتتجاوز الحدود الإدارية والضواحي المتاخمة لتصل إلى الريف المجاور. فالناس ينتقلون إلى المدينة بصورة منتظمة ومن مسافات بعيدة للعمل أو مراجعة الإدارات الحكومية المركزية أو التسوق في المدينة نفسها أو ضواحيها، كما يستخدم الناس في الريف محطات التليفزيون والصحف التي تصدر في المدينة. ولذلك لابد من تعريف وظيفي للمستوطنة الحضرية لتبرير ذلك الاتساع المتزايد في نطاق النفوذ.

ثالثاً: التحديد البيئي

إن تحديد الحدود الإدارية أو الوظيفية يمكن أن يساعد في إجراء دراسة إحصائية للمدينة، غير أن الفروق بين المدينة والريف تمتد إلى ما وراء التعريفات القانونية والإدارية. ويمكن تحديد مجموعة متنوعة من الخصائص البيئية التي تميز المدينة عن الريف أو العكس مثل:

١ ـ الفروق المناخية:

- يختلف المناخ في المناطق المدنية الرئيسية بصورة ملحوظة عن المناخ بالمناطق الريفية المحيطة، ومن الطبيعي أن تكون المدن أكثر دفئاً في الشتاء والصيف على حد سواء. وتسهم عدة عوامل في هذا الاختلاف:

أولاً: أن المدن تفتقر إلى الغطاء النباتي الواسع والتربة الزراعية التي تمتص الأمطار ثم تسمح لها بالتبخر الذي يبرد سطح الأرض. وبدون التبخر من المياه والنتح من النبات يظل سطح الأرض أكثر دفئاً.

ثانياً: أن جدران المباني تشكل سطوحاً رأسية تساعد في احتجاز الطاقة الشمسية في أثناء النهار. وتتولد الحرارة لتركز المباني والأنشطة في المدينة كالمصانع والسيارات. وفي المدينة تحتفظ المباني المبنية من الطوب والخرسانة والأحجار والشوارع المزفتة بالحرارة أكثر من احتفاظ الحشائش والحقول الخضراء في الريف بها. ولذا فالمدينة جزيرة حرارية **heat island** تزيد درجات الحرارة بها بمقدار درجة أو درجتين عنها في المناطق الريفية المحيطة بها في فصل الصيف (شكل: ٩-١أ).

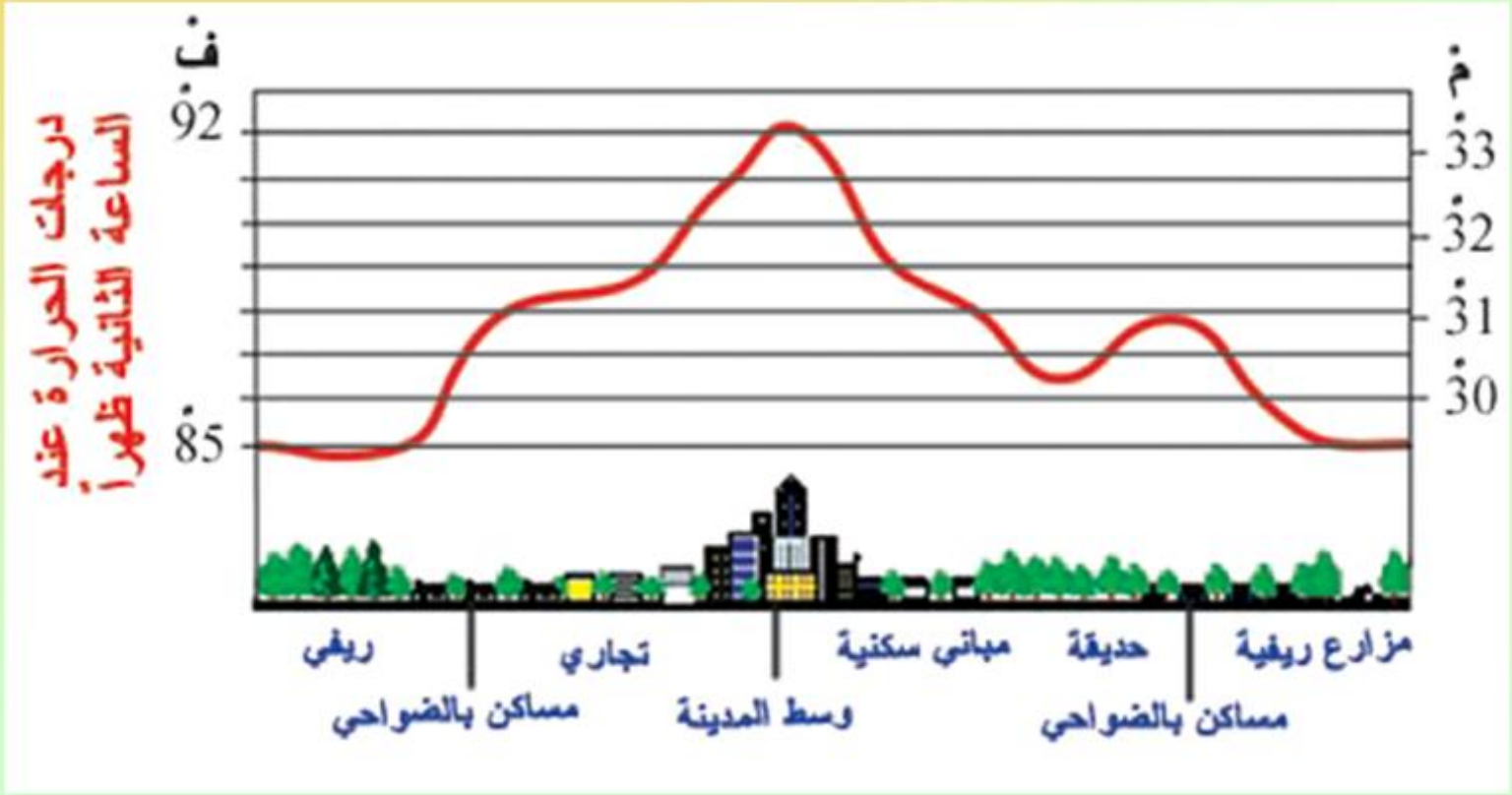

شكل (٩-١أ) تأثير الجزيرة الحرارية بالمدن الكبيرة

ثالثاً: أن ملوثات الهواء قد تمتص الحرارة فتحتفظ بالهواء دافئاً.

رابعاً: أن الحرارة التي تنطلق لاستخدام الطاقة كما يحدث في تدفئة المباني وتكييفها وتحريك السيارات تضيف إلى الحرارة المتاحة في المدينة (على الرغم من أن هذه الكمية ضئيلة جداً إذا قورنت بكمية الطاقة الشمسية المستمدة من الشمس) (شكل:٩-١ب-ج).

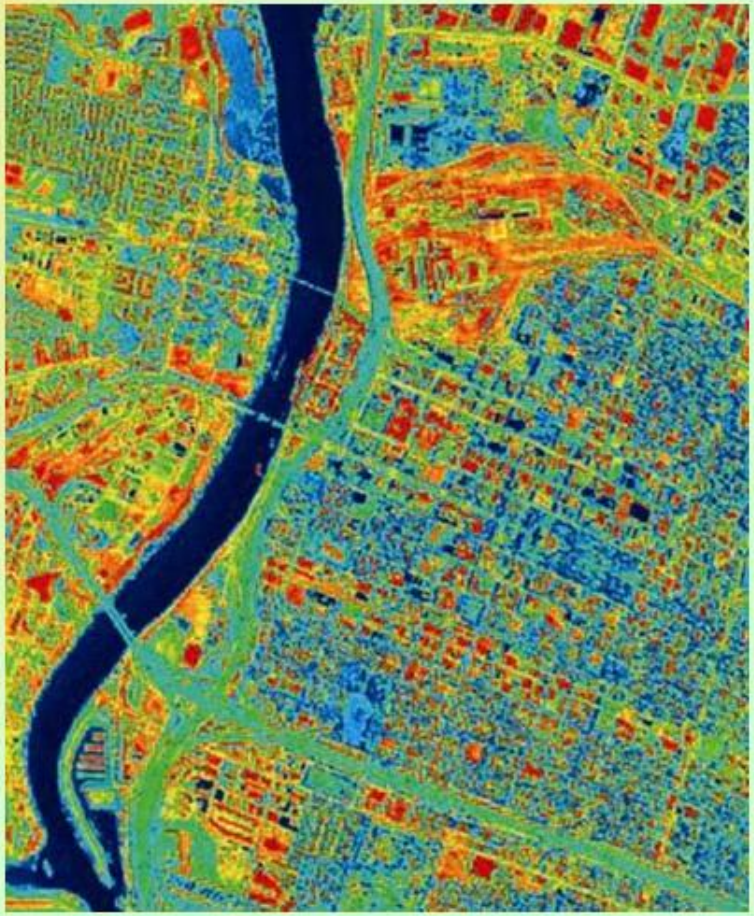

شكل (٩-١ب) صورة حرارية لمدينة سكرامنتو بالولايات المتحدة (لاحظ انعكاس المناطق الحارة)

شكل (٩-١ج) صورة بالطيف المرئي لسكرامنتو

٢ـ نسبة التلوث:

تتسبب الجزيئات والغازات التي تحدث السحابة الغبارية في حدوث التلوث، ويؤدي الكبريت لا سيما الناتج من احتراق الفحم إلى تآكل الرئتين والمعادن، كما يؤدي العادم من السيارات إلى تهيج العينين والرئتين (شكل: ٩ـ٢أ-ب).

والأراضي المدنية عرضة أيضاً للفيضان إذ تحول أرض المدينة ذات الأسطح غير المنفذة للماء كالطوب والحجر والخرسانة والزفت دون امتصاص التربة للماء فيسيل بها، ولا بد للمدينة من طريقة لتصريف مياه الأمطار من خلال أنابيب إلى البحيرات والأنهار والأودية وإلا تجمع الماء وأغرق المباني والطرقات.

شكل (٩ـ٢أ) الضباب الدخاني يرتفع من مداخن المصانع

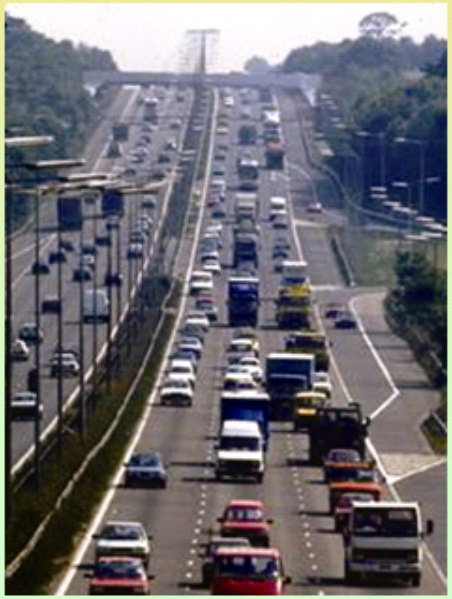

شكل (٩ـ٢ب) الضباب الدخاني ينشأ من عوادم السيارات كذلك

رابعاً: التحديد الاجتماعي

من أصلح تعريفات المدن هو التعريف الإيكولوجي للمدينة الذي جاء به لويس فرث Lewis Wirth في الثلاثينات من القرن العشرين الميلادي. فقد عرَّف فرث المدن بأنها مستوطنات يتصف سكانها بعدم التجانس الاجتماعي، كما تتسم بالضخامة والكثافة والامتداد. والألفاظ الرئيسية في تعريف لويس فرث هي الحجم، والكثافة، وغياب التجانس:

١ ـ الحجم:

من الواضح أن أبرز الفروق بين المدينة والريف هو حجم السكان. وينجم العدد الضخم من السكان الذين يعيشون في المدن عن تركز الأنشطة الاقتصادية، ففي المدينة يسيطر المال على الأنشطة الاقتصادية، فعلاقتك بأغلب من تقابلهم في المدينة علاقة تعاقدية، فتقابل أناساً لهم أدوار معينة مثل المحامي والكهربائي والسباك، وهم ليسوا من أصدقائك أو أقاربك، ولكنك تتعامل معهم من أجل الدور الذي يقومون به فحسب. وليس بمقدورك أن تعرف كل سكان المدينة ولا يمكنك أن تلم بكل شيء عمن يلتقون بك.

٢ ـ الكثافة السكانية:

لا تمتاز المدينة عن الريف بضخامة عدد سكانها فحسب ولكن بكثافة سكانها العالية، وكما هو الحال في الطبيعة يتطلب التنظيم الكثيف نسبياً بيئة أكثر تعقيداً كي يستمر. والطريقة الوحيدة التي يستطيع بها عدد ضخم من السكان العيش في منطقة ضيقة هي التخصص. فكل شخص لا بد أن يؤدي دوراً خاصاً أو يؤدي مهمة خاصة تتيح للمجتمع المدني المعقد أن يعمل في سلاسة. وفي الوقت نفسه يمكن للكثافة العالية أن تؤدي إلى قيام تنافس متزايد على المكان المفضل.

٣ ـ عدم التجانس السكاني:

كلما زاد حجم المستوطنة، زاد تنوع الناس، فالخطوط الطبقية الجامدة التي توجد في المجتمعات الريفية يحل محلها بيئة اجتماعية أكثر حركية فإذا أراد شخص أن يمارس عادة اجتماعية غير معتادة فإنه يجد قدراً أكبر من الحرية في المدينة.

فالمدينة لذلك تحدث ذلك التنوع الذي قد يؤدي إلى بيئة تفوق البيئة الريفية من حيث الإثارة والإبداع والقدرة على الإثراء الحضاري، وفي نفس الوقت قد تولد المدينة مشاعر الوحشة والعزلة.

تعريف فرث للمدينة في الوقت الحاضر:

- إن تعريف لويس فرث للمدينة ينطبق على الدول النامية التي ما تزال نسبة مئوية كبيرة من سكانها ريفيون.

- أما في الدول المتقدمة فالفارق بين المدينة والريف قد بدأ يضيق، فأخذ الناس في الدول المتقدمة يعودون أدراجهم إلى الريف ولكن مع وجود فارق حاسم إذ يكاد جميع الناس في الدول المتقدمة أن يستفيدوا من وسائل النقل والاتصال السريع فالطائرات والسيارات والقطارات والهاتف والانترنت والتليفزيون تمكن الناس من التلاقي في أنحاء الأرض والاطلاع على مجريات الأمور في سائر أنحاء المعمورة. لذلك استطاع الناس العيش في الريف مع توفر أسلوب الحياة المدني.